



دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	مسيرة التقدم في مقاربات الصحة النفسية من خلال كتاب : الصحة النفسية منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة
المصدر:	مجلة الطفولة العربية
الناشر:	الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية
المؤلف الرئيسي:	حجازي، مصطفى
مؤلفين آخرين:	المقداد، محمد(عارض)
المجلد/العدد:	مج 2, ع 8
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2001
الشهر:	سبتمبر
الصفحات:	66 - 76
رقم MD:	25370
نوع المحتوى:	عروض كتب
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	الاضطرابات النفسية، عرض وتحليل الكتب، الصحة النفسية، علم النفس التربوي، الأسرة والمدرسة، تربية الأطفال، السلوك، الشخصية، الإرشاد النفسي، العصائية، الذهانية، علم النفس العلاجي، علم نفس الطفل، التكيف النفسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/25370

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

كتاب العدد

مسيرة التقدم في مقاربات الصحة النفسية من خلال كتاب "الصحة النفسية: منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة"

المؤلف: د. حجازي
عرض: د. محمد مقداد
كلية التربية - جامعة البحرين

مقدمة

لم يأت على البشرية وقت كانت فيه محتاجة إلى الصحة النفسية مثل هذا الوقت الذي كثرت فيه المشاكل وتعددت. وإذا كانت ظروف الحياة في السابق قد مكنت من بلورة مقارنة ملائمة لفهم الصحة النفسية وممارستها، فإن ظروف الحياة الراهنة وبحكم اختلافها عن ظروف الحياة السابقة، لابد لها من مقارنة جديدة توجه فهم الصحة النفسية وممارستها فيها فعلاً. هذا هو ما بدأ يتجلى في التسعينات من القرن الماضي. بعد سواد مقارنة التكيف في فهم الصحة النفسية وممارستها لمدة حوالي ٤٠ سنة (من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى التسعينات من القرن الماضي) فإنها قد شرعت في الانسحاب من الساحة لتترك المجال مفتوحاً لمقاربة جديدة أكثر قدرة على مساعدة الفرد بعد أن شهدت الحياة تطورات كثيرة وازدادت تعقيداً أكثر مما كانت عليه من قبل، وصار فيها الفرد في حاجة ماسة إلى من يأخذ بيده إلى شاطئ الإطمئنان النفسي والسعادة والعافية. إنها مقارنة الاقتدار. وعلى الرغم من أن هذه المقاربة لم تسد ساحة الصحة النفسية إلا لفترة قصيرة (حوالي عقد واحد)، إلا أنها هي الأخرى تكون قد شرعت في الانسحاب من الساحة لتحل محلها أو لتقودها مقارنة أخرى أكثر ملاءمة لظروف الحياة الجديدة في فجر الألفية الثالثة وكل ما تحمله معها هذه الألفية. هذه المقاربة الجديدة هي مقارنة الصحة المجتمعية. إذن تكون ساحة الصحة النفسية قد شهدت نشاط ثلاث مقاربات منذ نشأتها لغاية هذا اليوم. ويكون السبب الرئيسي في ظهور مقارنة وسيطرتها لمدة زمنية معينة ثم انسحابها لتحل محلها أخرى هو ظهور متغيرات وعوامل جديدة في الساحة تتجاوز إمكانات المقاربة السائدة التي لا تكون قادرة على استيعابها، فيحدث التجاوز. ويكون من الضروري السماح لمقاربة أخرى بالظهور.

تتناول هذه الورقة عرض مقاربات الصحة النفسية الثلاث كلها بالشرح والتفسير، مستندة إلى ما جاء في كتاب "الصحة النفسية: منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة" للدكتور مصطفى حجازي (٢٠٠٠).

عرض الكتاب:**المجال العام:**

المجال العام للكتاب هو "الصحة النفسية" بكل مقوماتها ومعاييرها وقضاياها وخاصة صحة الطفل لأن شخصية الراشد وصحتها النفسية تبنى على الصحة النفسية للطفل.

هدف الكتاب:

الكتب المكتوبة في موضوع الصحة النفسية كثيرة. ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هي: أولا الكتب المتخلفة وهي التي تكتفي بعرض موضوعات من علم النفس العام وأخرى من علم النفس المرضي وتعتبرها هي الصحة النفسية. وثانيا الكتب المتقدمة وهي التي تسرد مفاهيم الصحة النفسية ونظرياتها وتطرح قضايا السواء واللاسواء دون التمكن من طرح قضايا الصحة النفسية المرتبطة بكل ما يشهده العالم من تطورات. فهي كتب حول الصحة النفسية، لكنها قديمة جداً على الرغم من أنها قد تكون نشرت في التسعينات من القرن الماضي أو في بدايات الألفية الثالثة. وثالثا الكتب المتميزة وهي التي تطرح قضايا الصحة النفسية المرتبطة بكل ما يشهده العالم وخاصة في فجر الألفية الثالثة من تغير. إن كتاب د. حجازي هو واحد من هذه الكتب المتميزة. أما هدفه فهو التنبيه إلى ضرورة بناء الإقتدار في الأفراد منذ مراحل نموهم الأولى وتعزيز إمكانيات التكيف عندهم للمتمكن من مواجهة ما يصادفهم من اضطرابات وإشكاليات مستقبلا. وبالتالي، فإنه - كما يقول الكاتب - لا يهدف إلى تناول حالات الاضطراب العصابية والذهانية لأن لها علومها الخاصة بها. كما أنه لا يهدف إلى تناول علاج الاضطرابات العصابية والذهانية لأن هذا الأمر يخص علم النفس الإرشادي لا الصحة النفسية.

عنوان الكتاب:

"الصحة النفسية: منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة" هو عنوان معبر تماماً عن محتوى الكتاب. وإذا كان لي أن استخدم مفهوم "صدق الوجه" للتعبير عن انسجام العنوان ومحتوى الكتاب، يمكن لي القول أن الصدق عال جداً وبالتالي، فإنه لا يعطي انطبعا زائفا أو غالطا.

محتوى الكتاب:**أبواب الكتاب وفصوله:**

يتضمن الكتاب مقدمة وثلاثة أبواب. اشتمل الباب الأول (الأطر العامة للصحة النفسية) على ثلاثة فصول: فصل حول نظرية الصحة النفسية، وفصل حول السواء واللاسواء، وفصل حول الصحة النفسية ما بين والبيولوجيا والسوسيوولوجيا. واشتمل الباب الثاني (الصحة النفسية والأسرة) على ثلاثة فصول: فصل حول الرباط الزوجي ومقوماته، وفصل حول تصدع الروابط الزوجية، وفصل حول علاقات الوالدية - البنوية، واشتمل الباب الثالث (الصحة النفسية والمدرسة) على ثلاثة فصول: فصل حول عالم المدرسة والصحة النفسية، وفصل حول الفئات الخاصة وصحتها النفسية، وفصل حول إطلالة مستقبلية: العولة والصحة النفسية. في الباب الأول ناقش الكاتب نظريات الصحة النفسية

ومقوماتها ومعاييرها وقضاياها مناقشة شاملة وتحليلية ونقدية. وقد بين أنه يسعى إلى طرح الأسئلة. وفي الباب الثاني قدم نموذجاً لبنية المجال الأسري يتشكل من أربعة أركان هي: العلاقات الزوجية والعلاقات مع المحيط والعلاقات الوالدية وعلاقات الأخوة. في هذا الباب ركز الكاتب على ركنين هما: العلاقات الزوجية والعلاقات مع الوالدين. أما في الباب الثالث فقد عالج الكاتب ملفات هامة مثل ملف الصحة النفسية المدرسية من عدة جوانب وخاصة جانب العلاقات الصفية بين الطلاب والمعلمين وملف الصحة النفسية للفئات الخاصة وملف العولة بجوانبها الإيجابية والسلبية.

نوع الكتاب:

عادة تقسم الكتب إلى قسمين هما الكتب التدريسية (Text books) وكتب البحث (Research books). والكتاب الذي بين أيدينا، وعلى الرغم من امتلاكه لخصائص الكتب التدريسية كمنح التراث الأدبي لبعض قضايا الصحة النفسية، إلا أنني أميل إلى اعتباره كتاباً بحثياً أكثر منه كتاباً مدرسياً لأنه يطرح المسائل دون تقديمه للإجابات. كما أنه يطرح كثيراً من القضايا المهمة التي تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة. ومنها مثلاً قضية "أهمية الرباط الإنساني في الطفولة الأولى" (انظر الفصل ٦) وقضية "إعداد المعلم لتنمية تجربة غرفة الدرس" (انظر الفصل ٧) وقضية "الرضى الوظيفي والمهني" (انظر الفصل ٧) وقضية الذكاء العاطفي والذكاءات المتعددة وقضية المعلومات المتراكمة في الانترنت وقضية "التدريب المستمر للأفراد في الوقت الراهن" وقضية "الإجهاد الذهني (Mental load) في عصر العولة وقضية "الإدمان على الانترنت" وقضية "العنف في التلفزة والتعلم الاجتماعي" و"التبلد العاطفي في العالم العربي" وقضية "التلوث البيئي" (انظر الفصل ٩).

الأفكار:

الكتاب ثري جداً ودسم. وقد يكون من الضروري قراءته أكثر من مرة واحدة لغزارة أفكاره. وهو مليء بالتحديات والقضايا التي تحتاج إلى نقاش واسع. ولا بد من الإشارة إلى تسلسل أفكاره خارجياً وداخلياً. فالتسلسل الخارجي واضح في أبوابه وفصوله وأجزاء فصوله المختلفة. أما التسلسل الداخلي فواضح في تسلسل الأفكار في كل فصل من الفصول وفي كل جزء من الأجزاء. تتمثل فكرة الباحث الرئيسية في أن الصحة النفسية يجب أن تهتم ببناء الإقتدار في الأفراد وزيادة قدراتهم على التكيف، للتمكن من إدارة دفة الحياة. كما أن عليها أن تعمل على تعزيز إمكانات العافية والمناعة النفسية والسلوكية، وعلى توفير مقومات إطلاق الطاقات وتوظيفها. أخذنا بعين الاعتبار هذه الأفكار، نجد أن نظرية الكاتب في الصحة النفسية تندرج بوضوح تحت مقاربة الإقتدار. وتكون بالتالي بمثابة حلقة الوصل بين مقاربتين علم النفس الإرشادي (مقاربة التكيف) من جهة، ومقاربة الصحة المجتمعية من جهة أخرى.

المراجع والوثائق:

استخدم الباحث عدداً كبيراً من المراجع، منها المراجع العربية والمراجع الأجنبية. أولاً، المراجع العربية: أشار الباحث إلى ٢٦ مرجعاً (كتبا وأوراق مجالات) وهي كلها مراجع حديثة النشر، وتتناول موضوع الصحة النفسية، ومنها ٠٦ لكاتب الكتاب نفسه. وثانياً، المراجع الأجنبية وعددها ٤١

(انجليزية= ٣٨، فرنسية=٣٠٣). ومعظمها حديثة جداً. وهي كلها حول موضوع الصحة النفسية أيضاً.

أسلوب الكاتب:

أسلوب الكاتب على العموم بسيط وسهل الفهم ومن الممكن جداً أن يفهمه معظم القراء، وخاصة من لهم خبرة بميدان الصحة النفسية. لم يستخدم الكاتب في كتابته غريب الألفاظ ومعقدها. وعلى العموم، فإن أسلوبه يتصف بالإعتدال، فلا إطناب ممل ولا إيجاز مخل. ومما يتميز به أسلوب الكاتب أيضاً هو استخدام مصطلحات قد تكون خاصة به وقد لا توجد في كتابات غيره. وهي مصطلحات يستخدمها للتعبير عن بعض الأفكار التي قد لا تكون الكلمات العادية قادرة على التعبير عنها. كنماذج يمكن الإشارة إلى "مأزمية" (ص ٦٣ فقرة ٢) "لا معيارية" (ص ١٢٤ فقرة ٢) "محترمة" (ص ١٢٤ فقرة ٢). علاوة على هذه المصطلحات، يتسم أسلوب الكاتب باستخدام عبارات خاصة ترتبط بمجال الصحة النفسية، لكنها تخص الكاتب ولا تتواجد في كتابات غيره ومنها: الوراثة النفسية (ص ١٢٤ فقرة ٥) وجلد التمساح (ص فقرة) والشحاح العاطفي (ص ١٧٤ فقرة ١) والخصاء الذهني (ص ٣٠٥ فقرة ١) والذهان الأبيض (ص ١٧٥ فقرة ٣) ومجاعة الوقت (ص ٣٠٩ فقرة ٣) وأمركة الكون (ص ٣١٧ فقرة ٣) وصدراة الانطباع (ص ٣١٨ فقرة ٢) والבלاغة الإلكترونية (ص ٣١٧ فقرة ٤).

شكل الكتاب

الحجم:

حجم الكتاب معقول جداً، فهو كتاب من ٣٣٤ صفحة. كما أن صفحات فصوله المختلفة على العموم متوازنة أيضاً.

الطبع:

طبع الكتاب طبعاً جيداً، وفي نوعية ورق جيدة أيضاً. وهو خال تماماً من الأخطاء اللغوية. أما عربيته فرصينة ومحكمة. كما أن بعض فصوله مثل الفصل الثالث والفصل التاسع تم تدعيم أفكارها ببعض الإحصائيات التي ساهمت كثيراً في إبراز تلك الأفكار.

وجهات نظر الكاتب في بعض القضايا:

وجهة نظر في الصحة النفسية:

إذا كان كثير من الكتاب في الصحة النفسية أخذوا بعين الاعتبار مقومين اثنين فقط لها وهما صحة البنية الداخلية وصحة الوظائف، فإن الكاتب أضاف لهذين المقومين مقومين آخرين هما: التفاعل مع المجتمع والصحة النمائية المتجاوزة لذاتها (Self actualization) لأن الإنسان نظام حي يعيش في مجال حيوي يتبادل وإياه الاعتماد والاعتناء. والصحة هي تلك الخاصية المميزة لهذا النظام في بنيته الداخلية من ناحية، وفي تفاعله الحيوي - الوظيفي مع محيطه من ناحية ثانية، وهو ما يتيح له النماء والارتقاء.

وجهة نظره في قضية السواء واللاسواء:

تتوفر أدبيات هذه القضية على مقاربات مختلفة، وأهمها هي: المقاربة الصحية (الطبية/ العقلية) التي ترى أن السواء هو غياب الاضطراب القابل للتشخيص الطبي العقلي. أما اللاسواء فهو تواجد الاضطراب. والمقاربة الإحصائية التي ترى أن السواء هو الحالة المتوسطة بناء على التوزيع الإعتدالي حيث يكون حوالي 68% من الأفراد أسوياء، ويكون حوالي 32% (16+16%) غير أسوياء، والمقاربة الثقافية التي ترى أن لكل ثقافة نموذجها في السواء واللاسواء. فما يعتبر في ثقافة ما سويًا، قد يكون في أخرى لا سويًا. أما المقاربة التي يقترحها الكاتب فهي تشبه المقاربتين الصحية والإحصائية من حيث أنهما تنظران إلى السواء واللاسواء على أساس أنهما قطبا متصل واحد وتختلف معهما في أنها لا ترى السواء واحداً، بل تراه أنواعاً مختلفة أسطها هو "الرداءة" وأعلاها هو "التميز وبلوغ كمال العقل". وهو السواء المتلائم مع التوجهات المستقبلية في تحدياتها ومتطلباتها وفرصها.

وجهة نظره في قضية التشخيص العيادي للسواء واللاسواء:

على الرغم من تعدد النماذج المطروحة في تراث هذه القضية، إلا أن النموذجين شائعي الاستخدام هما النموذج السلوكي المبني على نظرية التعلم الإجرائي لسكنر (Skinner) والذي يقدم أربعة معايير موضوعية لتشخيص الاضطراب والنموذج التحليلي المبني على نظرية التحليل النفسي ل فرويد والذي ينظر للشخصية نظرة كلية دينامية. إلى جانب هذا، فإن الكاتب يقترح استخدام النموذجين معاً أثناء عملية التشخيص. فهو يقترح أولاً استخدام النموذج السلوكي لسهولته، وإذا تبين أن هناك اضطراباً يحتاج إلى تدخل، فإن النموذج الدينامي التحليلي يستخدم بعد ذلك لقدرته على الغوص في أعماق شخصية الطفل واكتشاف أسباب الاضطراب.

وجهة نظرة في قضية مكونات النظام الإيكولوجي المحيط بالطفل (البيئة تقليدياً):

يرى كثير من الباحثين (انظر مثلاً Bronfenbrenner 1996) أن حلقات هذا النظام أربعة وهي: النظام المصغر (Microsystem) وهو الأقرب إلى الطفل (الأسرة مثلاً)، والنظام الإيكولوجي (Ecosystem) وهو الحلقة المحيطة بالنظام المصغر (الجيران مثلاً) والنظام الخارجي (Exosystem) وهو الحلقة المحيطة بالنظام الإيكولوجي (السياسة التربوية مثلاً) والنظام الأكبر (Macrosystem) وهو الحلقة المحيطة بالنظام الخارجي (النظم السياسية والاقتصادية مثلاً). لكن الكاتب يضيف مكوناً خامساً هو النظام المعولم (Global system) وهو الحلقة المحيطة بالنظام الأكبر.

مقاربات الصحة النفسية:

مقاربة التكيف:

ظهرت هذه المقاربة في الخمسينات من القرن الماضي أي بعد الحرب العالمية الثانية وذلك لتقديم المساعدة للمتضررين من الحرب سواء كانوا عسكريين أو مدنيين. أما هدفها الرئيسي فقد كان مساعدة الفرد في التكيف مع نفسه والآخرين والبيئة المحيطة به. وذلك بمساعدته في تجاوز الصراعات التي

من الممكن أن يواجهها في واحد أو أكثر من تلك المجالات.

تعتمد هذا المقاربة في تحقيقها للصحة النفسية على "إزالة الصراع"

أولاً، مع النفس أي إزالة الصراع القائم في الفرد سواء أكان: صراع إحباط، أو صراع أدوار أو صراع أهداف. وذلك بتعليم الفرد وتدريبه كيف يستخدم الأليات العقلية (ميكانيزمات الدفاع) للحفاظ على ذاته سليمة استخداماً معقلاً وبدون إسراف لأن المبالغة في استخدامها قد تؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباه (فوزي محمد جبل ٢٠٠٠).

ثانياً، مع الآخرين إزالة الصراع القائم بين الفرد من جهة والآخرين من جهة أخرى، وذلك باستخدام طريقة المفاوضات التي يتم فيها أولاً الحفاظ على أهداف الفرد ومصالحه، وثانياً الحفاظ على متانة العلاقات والروابط بين الفرد والآخرين (Lewicki et al 1992). وكما هو معروف، فإن هذا الهدف لا يتم إلا إذا تعاونت الأطراف جميعها على تحقيقه. أما إذا كان التعاون غير ممكن، فإن الصراع يمكن حله بطرق أخرى قد لا تكون مفيدة للصحة النفسية، ومنها مثلاً استخدام طريقة الانسحاب من الموقف أو اتباع سياسة اللين والتسامح (Johnson and Johnson 2000).

ثالثاً، مع البيئة مهما كان نوعها أي إزالة الصراع القائم بين حاجات الفرد المتعددة من جهة، وبين الإشباعات التي يمكن أن تقدمها البيئة لهذا الفرد. وذلك أولاً بمعرفة حاجات الفرد وما يمكن أن تقدمه البيئة من خدمات. وثانياً بإثراء البيئة وإغنائها بالفرص والإشباعات التي تقدمها للأفراد. لمعرفة حاجات الأفراد، يمكن الاستعانة بالأساليب المسحية المختلفة. كما يمكن الاسترشاد بنظرية ماسلاو في الترتيب الهرمي للحاجات (Maslow 1970).

مقاربة الاقتدار:

الفترة التي ظهرت فيها هذه المقاربة هي تسعينات القرن الماضي (١٩٩٠)، وذلك لبناء الاقتدار في الأفراد أي اكتشاف جوانب القوة فيهم لا تصحيح نقائصهم وإصلاحها. لأن هذه الجوانب ستحول دون كل ما يهدد أمن الصحة النفسية وسلامتها. تعتقد هذه المقاربة أن معرفة جوانب القوة في الإنسان والعمل على تنميتها ستكون بمثابة الجدار الواقي من الاضطراب النفسي (Seligman 2000). أما جوانب القوة فهي:

١- القوى المعرفية وهي القوى التي تعمل المعارف المتنوعة على تنميتها مثل العقلانية والأصالة والتفكير النقدي.

٢- القوى الوجدانية وهي القوى التي تثير عواطف الأفراد الموجبة في المواقف المختلفة مثل الأمل والتفاؤل.

٣- قوى الإرادة وهي القوى التي تمكن الفرد من الاستمرار في النشاط الإيجابي حتى في المواقف المثبطة للعزائم مثل الدافعية إلى الانجاز والشجاعة والعزم.

٤- القوى العلائقية وهي القوى التي يحتاج إليها الفرد في تعامله مع الآخرين مثل لين الجانب والعدل والنصيحة.

٥- القوى الروحية وهي القوى التي تربط الإنسان بخالقه وتحقق الإنسجام بين جوانب شخصيته المختلفة المعرفية والوجدانية والروحية والسلوكية مثل الإيمان ومراقبة النفس.

٦- القوى الوطنية وهي القوى التي تعزز الانتماء للوطن وتشكل الهوية الوطنية مثل الوطنية والتضحية والإخلاص.

أما العوامل الباعثة على ظهورها فهي متعددة، ومن الممكن إجمالها في المحاور الآتية.

١- **العناد والوسائل التي يتعامل معها الأفراد:** إن التقدم التكنولوجي المتمثل في تكنولوجيا الإلكترونيات وخاصة الحاسوب والإنسان الآلي وتكنولوجيا الاتصال المتطورة قد سبب للإنسان مشاكل جديدة لم يعهدها أبداً من قبل واهماً الإجهاد الذهني والأمراض المهنية وعلى رأسها التهاب الاجهاد المتكرر (Repetitive Strain Injuries) (أنظر Putz- Anderson 1988).

٢- **المحيط:** على الرغم من تنوعه، إلا أننا سنأخذ منه بعض النماذج فقط.

المحيط الفيزيقي ومن أهم مميزاته التلوث. لم يصح التلوث خطراً يهدد البشرية إلا بعد أن تلوثت مصادر الحياة الأساسية: الهواء والماء. إن أهم ملوثات الهواء هي: ثاني أكسيد الكبريت (Sulfur dioxide)، وأكاسيد النتروجين (nitrogen oxides)، وأول أكسيد الكربون (Carbon monoxide)، والأوزون (Ozone) والرصاص (Lead) والمواد الدقيقة المعلقة في الهواء (Particulates). وكما هو معروف، فإن للملوثات المختلفة سائلة الذكر آثاراً بالغة على كل المخلوقات وخاصة على الأفراد. تكون هذه الآثار مباشرة أثناء عملية التنفس، وغير مباشرة عند تلويث مياه الشرب والأطعمة والخضر والفواكه. لقد أصبحت الحياة في مدن بعض البلدان شاقّة بفعل ما بها من تلوث. تبين الدراسات التي قام بها برنامج الأمم المتحدة للمحيط بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية أن مستويات الداخان والرصاص في هواء مدينة القاهرة (مصر) وكراتشي (باكستان) متجاوزة بكثير المستويات التي حددتها منظمة الصحة العالمية والتي لا يجب تجاوزها أبداً (UNEP and WHO 1992). إلى جانب تلوث الهواء، فإن مصادر المياه المختلفة كالأنهار والسيول والأودية والبحار قد أصابها التلوث هي الأخرى.

المحيط المهني: شهد المحيط المهني هذه الأيام تغيرات لم يشهدها أبداً من قبل. وهي تتمثل أولاً في الانحسار المستمر لفرص العمل. فكل الشركات والمنظمات سواء في العالم المتقدم أو النامي، يكون عدد العمال فيها قد تقلص بصورة أو بأخرى. ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، عملت الشركات المختلفة على تسريح أكثر من سبعة ملايين عاملاً في الفترة ما بين 1987 و1995. لأن هذه الشركات لم تعد في حاجة إلى ما كان أولئك العاملون يقومون به. ومن الجدير بالذكر أن عملية التسريح شملت عمال الياقات البيضاء وعمال الياقات الزرقاء (معاً Shultz and Shultz 1998). وتتمثل ثانياً في التغيير في طبيعة العمل حيث لم تصبح مناصب العمل تتطلب كما كانت

في السابق عملاً محمداً يبقى العامل قائماً به طوال حياته المهنية، لكنها أصبحت تقتضي أن يتعلم العامل مجموعة من المهارات التي يجب تطويرها باستمرار، وتقتضي استعداد العامل وقابليته للتعلم وتطوير مهاراته المختلفة. وتمثل ثالثاً في نوعية المهارات التي يتطلبها العمل. يتطلب العمل اليوم القيام بالجهود الذهني بدلاً من القيام بالجهود البدني، وقد تناقصت إلى حد كبير مناصب العمل التي تقتضي مستويات بسيطة من التعلم والمعرفة. ولم يبق أمام العاملين الأميين سوى فرصاً جد محدودة وعدداً قليلاً جداً من المناصب، وهي مهددة بالزوال مستقبلاً.

المحيط السياسي والأمني: ومن أهم صفاتهما الانقلابات والاضائات المالية وفساد النخب الحاكمة وتفشي الحروب وكثرة النزاعات والصراعات، والمجاعة وانتشار الأزمات.

المحيط الديني والأخلاقي: ومن أهم صفاتهما طغيان القيم المادية وتقهقر القيم الروحية وتفشي التجارة الممنوعة كتجارة الجنس والأعضاء البشرية والمخدرات.

٣- المعارف والقدرات والمهارات وغيرها

المعارف وأهمها:

- ١- المعارف الكثيفة المرتبطة بالمهن الجديدة مثل مهنة مهندس المعلومات.
- ٢- المعارف المتعددة المرتبطة بالمهن التي تتطلب إتقان مهارات متعددة تقنية وإدارية وتنظيمية وغيرها.

المهارات، وأهمها:

- ١- مهارات الاتصال المختلفة (إقناع، إنصات).
- ٢- مهارات إدارة الوقت.
- ٣- مهارات العمل في الفريق المتنوع.
- ٤- مهارات النمو المستمر.

القدرات وأهمها:

- ١- القدرة على التغيير والتكيف.
- ٢- القدرة على التعلم المستمر.
- ٣- القدرة على تحمل الضغوطات.
- ٤- القدرة على تنمية الذكاء العاطفي والاجتماعي.

أخرى وأهمها:

١- المبادرة.

٢- الاتجاهات الإيجابية.

٣- الثقة بالذات.

٤- الشخصية القوية التي تصمد في مواقف الإجهاد.

تعتمد هذه المقاربة في بنائها لجوانب القوة في الإنسان وبالتالي تحقيقها للصحة النفسية على "التنشئة الاجتماعية" وذلك بزرع بذورها الأولى في الفرد منذ مراحل النمو الأولى. لقد عرف حجازي التنشئة الاجتماعية بأنها عملية تشكيل خصائص الفرد وإمكاناته وطاقاته بحيث يتاح له الاندماج العضوي والوظيفي في المجتمع الذي ينتمي إليه (حجازي ١٩٩٩). وتتلخص وظائفها الأساسية في الإعداد للمستقبل من جهة والحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية من جهة أخرى. تعمل التنشئة الاجتماعية على إعداد الفرد للمستقبل بغرس في نفسه وتنمية عدد من القدرات التي أصبحت ضرورية جداً للنجاح في الحياة المستقبلية تحت مظلة العولمة. من هذه القدرات ما هو معرفي كالقدرة على الإبداع والقدرة على التفكير النقدي والقدرة على التوظيف الكامل للطاقات الذهنية والعرفية. ومنها ما هو نفسي كالدافعية إلى الإنجاز والحصانة النفسية. وتعمل التنشئة الاجتماعية على الحفاظ على الهوية والوطنية والثقافية بالعمل وطنياً وإقليمياً على تفعيل الثوابت الوطنية المتفق عليها من دين ولغة وأرض وتاريخ وذلك بمحاولة بلورتها في سلوكيات الأفراد.

مقاربة الصحة المجتمعية:

على الرغم من أن هذه المقاربة قد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنه في العقدين الماضيين فقط تم استخدامها في مجال الصحة النفسية. وهي تهدف إلى تكييف المحيط للأفراد بدلاً من تكيفهم للمحيط، لأن المقاربتين السابقتين (مقاربة التكيف) و(مقاربة الاقتدار) تهدفان إلى تكييف الفرد للمحيط بواسطة زيادة قدراته المختلفة.

عوامل ظهورها : لقد تبين أنه ومهما كانت الجهود المبذولة لتحقيق تكييف الفرد (مقاربة التكيف) أو اقتداره (مقاربة الاقتدار)، فإن الحياة تبقى دائماً سابقة بفعل دينا ميتها واستمرار تطورها وتعقيدها.

تعتمد هذه المقاربة في تحقيقها للصحة النفسية على "التصميم أو إعادة التصميم" للحياة عموماً. إنها تؤمن بأن الحياة إذا تم تصميمها (أو إعادة تصميمها) للأفراد أخذاً بعين الاعتبار قدراتهم وحدودهم المختلفة، فإن عملية تحقيق الصحة النفسية تصبح يسيرة وممكنة التحقيق (Chapanis 1996). وعليه، فإن الممارسة تنصف على:

أولاً، تصميم/ إعادة تصميم الأسرة؛ ومما يؤخذ بعين الاعتبار ما يأتي؛

١- ضمان أن الوالدين يتمتعان بالصحة النفسية.

- ٢- إشباع حاجات الأطفال وخاصة النفسية (انظر Maslow 1970).
- ٣- تكوين اتجاهات إيجابية لدى الأطفال نحو أنفسهم ونحو الآخرين والمجتمع عموماً.
- ٤- ممارسة أساليب تنشئة تربية سليمة.
- ثانياً، تصميم/ إعادة تصميم المدرسة؛ ومما يؤخذ بعين الاعتبار ما يأتي؛
- ١- ضمان أن القائمين على العملية التربوية فعل يتمتعون بالصحة النفسية.
- ٢- إشباع حاجات التلاميذ المختلفة العقلية والعاطفية والنفس حركية.
- ٣- غرس اتجاهات إيجابية في الأطفال نحو الوطن والمجتمع.
- ثالثاً، تصميم/ إعادة تصميم العمل؛ ومما يؤخذ بعين الاعتبار ما يأتي؛
- ١- ضمان أن ظروف العمل الفيزيائية (إضاءة، ضوضاء، تهوية، الخ) جيدة.
- ٢- ضمان أن ظروف العمل الاجتماعية والعلائقية والإدارية سليمة ولا تسبب أي إجهاد.
- ٣- ضمان أن مهام العمل ونشاطاته مناسبة وآمنة.
- ٤- ضمان أن آلات العمل وعدده جيدة التصميم ومناسبة لقدرات العاملين.
- رابعاً، تصميم/ إعادة تصميم المجتمع؛ ومما يؤخذ بعين الاعتبار ما يأتي؛
- ١- ضمان أن المجتمع يتمتع بالصحة النفسية لأنه لا يمكن تحقيق صحة نفسية للأفراد المتواجدين في مجتمع مضطرب.
- ٢- ضمان أن المجتمع يتمتع ببيئة اجتماعية آمنة.
- ٣- ضمان أن المجتمع تسوده العدالة الاجتماعية.
- ٤- ضمان أن المجتمع يحرص على حل مشكلات المواطنين المختلفة مثل السكن والزواج والعمل.
- خامساً تنفيذ ممارسات الاقتدار التي تمت الإشارة إليها أعلاه...

الخاتمة:

لقد تناولت هذه الورقة مقاربات الصحة النفسية التي شهدتها ساحتها منذ نشأتها لغاية هذا اليوم. وبينت كما بين أ.د. حجازي في كتابه أن علم الصحة النفسية من الممكن جداً أن يحقق تقدماً كبيراً إذا ما توفرت الظروف والإمكانات التي تسمح لمقاربة الصحة المجتمعية أن تسود لأن أهداف الصحة النفسية تصبح سهلة التحقيق على الرغم من أنها قد تحتاج إلى كثير من الجهد والوقت والمال.

المراجع:

- مصطفى حجازي (١٩٩٩). العولمة والتنشئة المستقبلية. العلوم الإنسانية (البحرين) العدد ٢، ص ١٦-٤٤.
- مصطفى حجازي (٢٠٠٠). الصحة النفسية: منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- فوزي محمد جبل (٢٠٠٠). الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية. الاسكندرية: المكتبة الجامعية.

- Chapanis, A. (1996). Human factors engineering. New York: Wiley
- Johnson, D.W. and Johnson, F.P. (2000). Joining together: Group theory and group skills. Boston: Allyn and Bacon.
- Lewicki, R.J., Weiss, S.E. and Lewin, D. (1992). Models of conflict negotiation and third party intervention: A review and synthesis. Journal of Organizational Behavior, 13, 209-252.
- Maslow, A.H. (1970). Motivation and personality. New York: Harper and Row.
- Putz-Anderson, V. (1988). Cumulative Trauma Disorders: A manual for musculo-skeletal disorders of the upper limbs. London: Taylor and Francis.
- Seligman, M.E.P. (2000). Positive clinical psychology. In: L.G. Aspinwall and U.M. Standinger (Eds.) A Psychology of Human Strengths: Perspectives on an Emerging Field. Washington DC:APA.
- Shultz, and Shultz (1998) Psychology and Work. New Jersey: Prentice Hall Inc.
- United Nations Environment Programme and World Health Organization (1992) Urban air pollution in megacities of the world. Oxford: Alder Press